جامعة الانبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
القسم العلمي: علوم القران والتربية الاسلامية
المرحلة الدراسية: الثانية – الكورس الاول
المادة: علوم القران

الأحرف السبعة في اللغة والاصطلاح وأقوال العلماء فيها.

The seven letters in the language, convention, and sayings of scholars therein.

الأحرف في اللغة: الاحرف جمع حرف، وهو لفظ مشتق من مادة (ح ر ف)، وهذا اللفظ في اللغة يستعمل بمعنى الوجه والطريقة.

أما في الاصطلاح: لقد اتفق العلماء على أن القرآن نزل على سبعة أحرف؛ لأن هذا ما صرحت به الأحاديث.

ولقد جاء هذا النقل الصحيح من طرق مختلفة كثيرة من طرق مختلفة ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف، ومن أوضح هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم, واللفظ للبخاري.

روى الإمام البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم فلببته فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: كذبت فو الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وإنك أقرأتني سورة الفرقان فقال يا هشام

اقرأها فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأتها التي أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه.

دلتنا النصوص على أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات نزل بها القرآن، ونود أن ننبه بأن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة، التي يظن كثير من عامة الناس أنها الأحرف السبعة. وهو خطأ عظيم ناشئ عن الخلط وعدم التمييز بين الأحرف السبعة والقراءات.

وهذه القراءات السبع إنما عرفت واشتهرت في القرن الرابع، على يد الإمام المقرىء ابن مجاهد الذي اجتهد في تأليف كتاب يجمع فيه قراءات بعض الأئمة المبرزين في القراءة، فاتفق له أن جاءت هذه القراءات سبعة موافقة لعدد الأحرف، فلو كانت الأحرف السبعة هي القراءات السبع، لكان معنى ذلك أن يكون فهم أحاديث الأحرف السبعة، بل العمل بها أيضاً متوقفاً حتى يأتي ابن مجاهد ويخرجها للناس.

أختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة اختلافا طويلا، حتى أوصل ابن حبان الأقوال في هذه المسألة الى خمسة وثلاثين قولا في تفسير المراد بالأحرف السبعة، جاء الامام السيوطي بعده فأوصلها الى أربعين قولا، وجاء بعد الملا علي القاري الحنفي فزاد قولا فزادت الأقوال فأصبحت واحدا وأربعين قولا، على أنه لم يقتصر اختلافهم في معنى الأحرف السبعة، بل اختلفوا أيضا في عدد السبعات، هل يراد به حقيقة العدد، أو لا يراد حقيقته وإنما يراد الدلالة على الكثرة، وهذا مذهب عربي معروف، أهل العرب اذا أرادت أن تدل على الكثرة قالت العدد سبعه، واذا ارادت ان تدل على الكثرة في العشرات قالت سبعين، واذا ارادت أن تدل على الكثرة في المئين قالت سبعمائة، وهذا مذهب القاضي عياض رحمه الله، وتبعه فيه جماعه قالوا ليس المراد خصوص حقيقة العدد سبعه، لكن المراد أن هذا القرآن أنزل على أحرف كثيرة.

أقوال العلماء في الأحرف السبعة.

اتفقت أقول العلماء على أن القرآن نزل على سبعة أحرف، لكنهم اختلفوا في المعنى المراد من ذلك على مذهبين:

المذهب الأول: يرى أصحابه أن المراد بالسبعة حقيقة العدد، ولكنهم اختلفوا في تحديد هذه الأحرف على أقوال عدة:

القول الأول: ان المراد بالأحرف السبعة هي اللغات واللهجات التي نزل بها القرآن، وهي لغة هذيل وثقيف وهوزان وكنانة وتميم واليمن، أو هي لغة قريش وهذيل وتميم وأزاد وربيعة وهوزان وسعد بن بكر.

واصحاب هذا القول.

من السابقين: (سفيان بن عيينة وابن جرير الطبري والقرطبي وغيرهم).

ومن المعاصرين: (مصطفى صادق الرفاعي والشيخ مناع القطان).

القول الثاني: ان المراد بالأحرف السبعة الأوجه اللفظية التي نزل بها القرآن، وهي الاختلاف في اعراب الكلمة والاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها والاختلاف في تغير صورة الكلمة دون معناها والاختلاف في صورة الكلمة ومعناها والاختلاف في التقديم والتأخير والاختلاف في الزيادة والنقصان.

واصحاب هذا القول:

من السابقين: الزركشي وابن الجزري.

ومن المعاصرين: الشيخ محمد علي الصابوني.

القول الثالث: ان المراد بالأحرف السبعة هي الأوجه المعنوية التي نزل بها القرآن ولكنهم اختلفوا في تعينها وحصرها:

فمنهم من قال بأنها: الحلال والحرام، والأمر والزجر، والمحكم والمتشابه، والأمثال.

ومنهم من قال بأنها: الوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمواعظ، والأمثال، والاحتجاج.

ومنهم من قال بأنها: المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والخصوص والعموم، والقصص.

وهذا الرأي لم ينسب صراحة إلى أحد ممن نقل رأيهم.

المذهب الثاني: يرى أصحابه أن المراد بالسبعة ليس حقيقة العدد، وإنما المراد التعدد والكثرة من أجل التيسير والتسهيل والتوسعة، فهم يرون أن القرآن نزل بلغات العرب بأوجه متعددة.

وممن ذهب إلى هذا الرأي:

من السابقين: علي ابن أبي طالب وابن عباس والقاضي عياض.

ومن المعاصرين: الاستاذ شوكت عليان والاستاذ غانم قدوري وغيرهم.

ما الرأي الراجح ومسوغاته؟.

هو المذهب الأول؛ لأن الحديث ورد بلفظ السبعة في كل طرقه مما يوضح أنه المراد، ولولا التدرج الوارد في الأحاديث لما كان هناك مانع من أن يكون قد أريد بها التعدد؛ لأن من عادة العرب أن تستعمل السبعة؛ لتدل على التعدد في الآحاد والسبعين في العشرات والسبعمائة في المئات، كما ان المراد بالأحرف السبعة هي اللغات واللهجات التي نزل بها القرآن.

والدليل على ذلك ما قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه للنفر القريشيين الثلاثة: "اذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلغة قريش فإنه نزل بلغتهم".

وجوه الأحرف السبعة.

.The faces of the seven letters

بقي علينا أن نتساءل: ما هي تلك الوجوه السبعة التي لا تخرج القراءات عنها مهما كثرت وتنوعت في الكلمة الواحدة؟ والذي نختاره بنور الله وتوفيقه من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي وغيره إلى أن المراد بالأحرف السبعة، وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف، وهي:

الوجه الأول: اختلاف في الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث:

مثال: الافراد والجمع:

كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ} [المؤمنون: 8] قرئ "لأماناتهم" بالجمع، وقرئ "لأمانتهم" بالإفراد.. ورسمها في الصحف "لأَمَنَتِهِمْ" يحتمل القراءتين، لخلوها من الألف الساكنة.

وقوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين)، (قرئت مساكين ومسكين).

التثنية والجمع: التثنية كقوله تعالى: (فأصلحوا بين أخويكم)، والجمع (فأصلحوا بين إخوتكم).

التذكير والتأنيث: قوله تعالى: (ولا يُقبلُ منها شفاعة) والتأنيث: (ولا تُقبل ...).

الوجه الثاني: الاختلاف في وجوه الإعراب:

كقوله تعالى: {وَلا يُضَارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ} [البقرة: 282] قرئ (ولا يضارّ). ، قرئ بفتح الراء وضمها فالفتح على أن لا ناهية فالفعل مجزوم بعدها، أما الضم فعلى أن لا نافية فالفعل مرفوع بعدها.

وكقوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا}، قرأ الجمهور بالنصب، على أن "ما" عاملة عمل "ليس" وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن، وقرأ ابن مسعود: " مَا هَذَا بَشَرٌ " بالرفع، على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون "ما" عمل "ليس".

وكقوله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} -"برفع "آدم" وجر "كلمات" "- وقُرِئ بنصب "آدم" ورفع "كلمات": "فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ".

الوجه الثالث: الاختلاف في التصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر: كقوله تعالى: {فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا} [سبأ: 19] , قُرِئ بنصب "ربَّنا" على أنه منادى مضاف، و"بَاعِد" بصيغة الأمر، وقُرِئ "ربُّنا" بالرفع، و"باعَد" بفتح العين، على أنه فعل ماض، وقُرِئ "بعِّد" بفتح العين مشددة مع رفع "ربُّنا" أيضًا.

ومن ذلك ما يكون بتغيير حرف، مثل "يعلمون، وتعلمون" بالياء والتاء، و"الصراط" و"السراط" في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

الوجه الرابع: الاختلاف بالزيادة والنقص:

فالزيادة كقوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، قُرِئ "من تحتها الأنهار" بزيادة "من" وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالى: "قالوا اتخذ الله ولدًا" بدون واو، وقراءة الجمهور: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}، وبالواو. وقد يمثل للزيادة في قراءة الآحاد، بقراءة ابن عباس: "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا" بزيادة "صالحة" وإبدال كلمة "أمام" بكلمة "وراء" وقراءة الجمهور: {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}، كما يمثل للنقصان بقراءة "والذكر والأنثى" بدلًا من قوله تعالى: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}.

الوجه الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير:

إما في الحرف، كقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَيْأَسِ}، وقُرِئ "أفلم يأيس" وإما في الكلمة كقوله تعالى: {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ}، بالبناء للفاعل في الأول، وللمفعول في الثاني، وقُرِئ بالعكس، أي بالبناء للمفعول في الأول، وللفاعل في الثاني.

أما قراءة "وجاءت سكرة الحق بالموت" بدلًا من قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}، فقراءة أحادية أو شاذة، لم تبلغ درجة التواتر.

الوجه السادس: الاختلاف بالإبدال: سواء أكان إبدال حرف بحرف. كقوله تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا}، قُرِئ بالزاي مع ضم النون، وقُرِئ (ننشرها) بالراء مع فتح النون.

أو إبدال لفظ بلفظ، كقوله تعالى: {كَالْعِهْنِ المَنْفُوش}، قرأ ابن مسعود وغيره "كالصوف المنفوش".

وقد يكون هذا الإبدال مع التقارب في المخارج كقوله تعالى: {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ}، قُرِئ "طلع" ومخرج الحاء والعين واحد، فهما من حروف الحلق.

الوجه السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام ونحو ذلك، كالإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى}، قُرِئ بإمالة "أتى" و"موسى" وترقيق الراء في قوله: {خَبِيرًا بَصِيرًا}، وتفخيم اللام في "الطلاق" وتسهيل الهمزة في قوله: {قَدْ أَفْلَحَ}، وإشمام الغين ضمة مع الكسر في قوله تعالى: {وَغِيضَ الْمَاءُ}، وهكذا.

معنى الاحرف السبعة والاحاديث الواردة فيها.

The meaning of the seven letters and hadiths contained therein.

نجد في الأحاديث الصحيحة المروية من طرق مختلفة ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف.

نزل التخفيف على الأمة بالأحرف السبعة كما نصَّت على ذلك جملة الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة، ويمكن استخلاص عددٍ من الفوائد من أحاديث نزول

القرآن على أحرف سبعة مباشرة، وهذه بعض هذه الأحاديث، وبعض الفوائد المستنبطة منها.

معنى الأحرف السبعة:

ولم تكن تلك الأحرف تتجاوز تنوع صور النطق إلى اختلاف المعاني، على نحو ما نقل محمد بن شهاب الزهري (ت 124 هـ) عن الصحابة، فقد قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه «قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال ولا حرام».

أي أن الألفاظ المختلف في قراءتها لا يتغير معناها، وإنما الذي يتغير هو النطق فقط.

ولم يرد في روايات هذا الحديث ما يحدد المراد بالأحرف السبعة، ولم ينقل عن الصحابة ما يوضح ذلك أيضا، غير ما نقله ابن شهاب عنهم في قوله: بلغني أن تلك السبعة الأحرف، ومن ثم فإن العلماء اجتهدوا في تفسيرها بعد اتفاق جمهورهم على أنها تخص النطق والقراءة، لا اختلاف المعاني والأحكام.

ويمكن أن نلخص جهود العلماء في تفسير الأحرف السبعة في اتجاهين:

الاتجاه الأول.

أن عدد السبعة الواردة في الحديث لا يقصد به الحصر وأنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات، وسبع مائة في المئين، ولا يراد العدد المعين.

قال ابن الجزري (ت 833 هـ): «وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السعة والتيسير، وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب، من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك، والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبع مائة ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، قال تعالى: ((كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ)) (261) [البقرة].

وقوله تعالى: (وإِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) (80) [التوبة].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة» ... ».

الاتجاه الثاني.

: وذهب أكثر علماء السلف إلى أن المقصود بالسبعة الحصر، لكن اختلفوا في تعيين السبعة، وأشهر الأقوال في هذا الاتجاه ثلاثة:

1 - أنها سبع لغات (لهجات) من لغات العرب، قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ): «قوله: (سبعة أحرف) يعني سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا ما لم نسمع به قط، ولكن نقول هذه اللغات متفرقة في القرآن ...)).

2 - الأحرف السبعة هي سبعة ألفاظ مختلفة في النطق متفقة في المعنى، قال الطبري: «الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن هي لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني».

ويرى الطبري أن عثمان، رضي الله عنه، جمع الناس على حرف واحد، وأن الأحرف الستة الأخرى قد ذهبت.

3 - الأحرف السبعة هي سبعة وجوه من وجوه القراءات، قال ابن قتيبة: «وقد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه ... »، وذلك مثل إبدال لفظ بلفظ، أو حرف بحرف، أو تقديم وتأخير، أو زيادة حرف أو نقصانه، أو اختلاف حركة بناء الكلمة أو إعرابها، أو اختلاف في تفخيم الصوت أو ترقيقه، أو نحو ذلك.

ولم يحظ أي قول من هذه الأقوال، أو غيرها مما قاله بعض العلماء في تفسير الأحرف السبعة، بما يمكن أن يرجحه على غيره أو يحمل على القطع بصحته، لكن العلماء بعد ذلك مجمعون على أن تلك الرخصة كانت في وقت معين، قال الطحاوي (ت 310 هـ (: إن تلك السبعة إنما كانت في وقت خاص، لضرورة دعت إلى ذلك».

أما الأجيال اللاحقة فليس لها إلا اتباع القراءة المأثورة عن الصحابة التي تناقلتها الأمة عبر العصور، ولم تكن تلك الرخصة مطلقة حتى في زمن الصحابة فقد نص العلماء على «أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، بأن يغير كل أحد الكلمة بمرادفها في لغته، بل المرعي في ذلك السماع من النبي صلى الله عليه وسلم».

قال الداني: «وهذه القراءات كلها والأوجه بأسرها من اللغات هي التي أنزل القرآن عليها، وقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرأ بها وأباح الله تعالى لنبيه القراءة بجميعها وصوّب الرسول صلى الله عليه وسلم من قرأ ببعضها».

فأصل القراءات القرآنية يرجع- إذن- إلى رخصة الأحرف السبعة التي يسّر الله تعالى بها على الصحابة في قراءاتهم للقرآن، فكل القراءات القرآنية ترجع إلى قراءات الصحابة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علّم الصحابة القرآن، وسمع منهم قراءتهم وأقر لهم اختلافهم في النطق، كما جاء في عدد من روايات حديث الأحرف السبعة، وكما ورد في رواية أبي العالية الرياحي (رفيع بن مهران ت 92 هـ) التي نقلها الطبري، وقال فيها: «قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلّ خمس رجل، فاختلفوا في اللغة، فرضي قراءاتهم كلهم».

وروي عن معاذ بن جبل أنه قال: عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعب أحدا منا.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة: «اقرءوا كما علّمتم» وينهاهم عن الجدال في القرآن وقراءته.

ثانياً: الأحاديث وما فيها من فوائد:

1. ومن أوضح هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم, واللفظ للبخاري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه أو بردائي, فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت له: كذبت, فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام))، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هكذا نزلت))، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف, فاقرءوا ما تيسر منه)). أخرجه البخاري.

2. عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهم حدثه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ((أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)). أخرجه البخاري.

3. عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان عند أضاة – أي الماء المستنقع كالغدير - ، بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تَقْرَأَ أمَّتُك القرآنَ على حرف. فقال: ((أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك))، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرفين، فقال: ((أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك))، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا)). أخرجه مسلم.

4. عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: ((كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر، فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقرآ، فَحَسَّنَ النبي صلّى الله عليه وسلّم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عزّ وجل فَرَقاً، فقال لي: ((يا أُبَيُّ، أُرسِل إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هَوّن على أمتي، فَرَدَّ إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرَدَدْتُ إليه: أن هوّن على أمتي، فَرَدَّ إليَّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل رَدَّةٍ رَدْدْتُكها مسألةٌ تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي، وأَخَّرْتُ الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام)). أخرجه مسلم.

فوائد هذه الأحاديث:

1 - أن نزول الأحرف السبعة كان في المدينة بدلالة قوله: ((أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان عند أضاة بني غفار))، وهو موضع ماء في المدينة نزل فيه رهط أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، فَنُسِب إليهم.

ويضاف إلى هذا ما ورد من استنكار أُبَي بن كعب لما سمع من الصحابيين غير ما سمعه هو من النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأُبَي كان في المدينة، ولو كانت الأحرف نزلت في مكة لما وقع هذا الاستنكار الذي يدل على ورود أمر جديد فيما يتعلق بقراءة القرآن.

2- أن الرسول الكريم؛ الرحمة المهداة من ربِّ العالمين صلّى الله عليه وسلّم طلب المزيد من الأحرف تخفيفاً على أمته، وتوسيعاً عليها في القراءة، وذلك في قوله: ((أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك))، وقد ورد في بعض طرق حديث الأحرف السبعة تفصيل آخر، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المراء، فقال: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية: الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لا يقرأ كتاباً قط، قال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف))، وفي تحديد هذه الفئات أمران:

الأول: أنَّ الذي يصعب على الأميِّ هو ما يعود إلى ما تعوَّده من النطقِ، فإن نزوع أمثال هؤلاء عن طريقة منطقهم تحتاج إلى تعلُّمٍ وتكلُّفٍ، والله أعلم.

الثاني: أنَّ أغلب اختلاف الأحرف السبعة يرجع إلى طريقة النطق، وإنما جاء ذكر التيسير بهذه الصورة في الحديث على الأسلوب النبوي الشرعي في نسبة الكلِّ إلى أعظم جزءٍ فيه؛ كقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((الحج عرفة))،، مع أنَّ في الحجِّ أركاناً غير الوقوف بعرفة، وإنما المراد التنبيه على أهمية هذا الركن من أركان هذا الحجِّ، وأنَّ من فاته فقد فاته الحجُّ، وفي سنته من الأمثلة المشابهة لذلك عدد غير قليل.

والمقصود أنه لا يلزم أن يكون كل اختلافٍ في هذه الأحرف لا يستطيعه من ذكرهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم، بل قد يستطيعونه، والله أعلم.

ومن المهم ملاحظة أن التخفيف على الأمة بالأحرف السبعة لم ينقطع، فالرسول صلّى الله عليه وسلّم استزاد لأمته كلها، وليس لزمن من أزمانها دون غيره، وهذه الملحوظة يحسن التنبه لها في كل الأحاديث التي يرد فيها ذكر أمته صلّى الله عليه وسلّم.

مفهوم القراءات القرآنية وأسبابها.

• The concept of Quranic readings and their causes.

أولاً: مفهوم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا.

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي من الفعل قرأ، وقرأ من القرئ بمعنى الضم، والجمع في اللغة، أو من قرأ بمعنى تلا، وكأن الذي يقرأ يجمع ويضم الحروف بعضها الى بعض فتصبح الحروف كلمة، وتصبح الكلمات جمل ويتلوها أو يقرأها فتصير قراءة.

لماذا سمي القرآن قرآنا؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور، بعضها إلى بعض.

وهناك علاقة ما بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لمعنى قراءة.

القراءات في اصطلاحا: هي ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض في القراءة أو الترتيل.

ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة لها، وأبرز هذه التعريفات هي:

1- قال ابن الجوزي بأنها: علم بكيفية أداء الكلمات القرآنية - يعني كيف تؤدى الكلمة، أي تؤدى بالترقيق أو بالتفخيم بالإمالة، بالهمز أو بالتسهيل مثال: (المؤمنون) وهناك قراءة (المومنون) - واختلافها – أي تختلف قراءة حفص عن عاصم عن قراءة ورش عن نافع- بعزو الناقلة – أي لابد أن نذكر ناقله وهو الإمام.

ومن خلال هذه التعريفات السابقة لمفهوم القراءات يتضح لنا أن للعلماء في هذا مذهبين:

المذهب الأول: يعتبر أن مفهوم القراءات ذات مدلول واسع، فهي تشمل الحديث عن ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها، وهذا مذهب ابن الجوزي وغيره.

المذهب الثاني: يعتبر أن مفهوم القراءات مقصور على ألفاظ القرآن المختلف فيها، وهذا مذهب الزركشي في البرهان وغيره.

ثانيا: من الذي ألف القراءات القرآنية؟.

الجواب: وقد ذهب كثيرون إلى أنَّ أبا عبيْد القاسم بن سلاَّم الهروي (ت 224هـ) أول مَن ألَّف في القراءات القرآنية.

وقد ذهب بعضهم إلى أنه أبو حاتم السجستاني (ت 225هـ).

ونَسَبَ ذلك آخَرون إلى يحيى بن يعمر (ت 129هـ).

وأبرز مَن ألَّف في القراءات قديماً بعد هؤلاء: أبو بكر محمد بن موسى بن مجاهد (ت 324هـ)، وأبو عمرو الداني (ت 444هـ).

مهم: من هم مبعوثو عثمان الى الامصار مع المصاحف؟. 3. عامر بن قيس (ت:55ه) أرسل الى البصرة.

1. عبدالله بن السائب المخزومي(ت: 70ه) ارسل الى مكة
2. أبو عبد الرحمن السُلمي (ت:47ه ارسل الى الكوفة.
3. عامر بن قيس (ت:55ه) أرسل الى البصرة.
4. المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ارسل الى الشام.
5. زيد بن ثابت (ت:54ه) بقي في المدينة المنورة.

كما يقال أنه ارسل مصحفين، مصحف الى اليمن ومصحف الى البحرين.

ثالثا: متى ظهر علم القراءات؟.

الجواب: بعد أن أرسل عثمان بن عفان المصاحف وأرسل مع كل مصحف مُقرئ وتعلم على يدي هؤلاء المقُرئين علماء أفاضل وأبدعوا في هذا العلم واشُتهر بعضهم بطريقة معينة من أمثال عاصم بن أبي النجود الذي تلقى العلم عن أبي عبد الرحمن

السُلمي وهو سند رواية حفص عن عاصم فنحن نأخذ رواتنا حفص بن سليمان عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السُلمي عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اشتهر هؤلاء الأئمة المقرئين فجاء ابن مجاهد وجمع أشهر سبع قراءات أو أشهر سبع أئمة من ضمنهم: قراءة عاصم بن أبي النجود: فقد ألف كتاب سماه (السبعة في القراءات لابن مجاهد).

ثم جاء ابن الجزري بعد فترة من الزمن فوجد ان هناك ثلاث قراءات لها شروط القراءات المتواترة يعني صح سندها وموافقة لرسم المصحف العثماني وموافقة للغة العربية فضم القراءات الثلاث أو الأئمة الثلاث الى القراءات السبعة، فصارت عشر قراءات وألف كتاب سماه (النشر في القراءات العشر).

بعد فترة من الزمن جاء أحمد بن محمد المشهور بالبناء وألف كتاب (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر) لكنه وجد أن هناك اربع قراءات ليست متواترة لكنها قراءات صحيحة وتسمى قراءات تفسيرية تفسر القرآن مثال ذلك:

قوله تعالى: (وكان وراؤهم ملك يؤخذ كل سفينة غصبا)، وفي قراءة أخرى صحيحة لكنها غير متواترة (وكان أمامهم ملك يؤخذ كل سفينة صالحة غصبا)، إذا تفسر أن الملك الظالم لا يؤخذ الا السفينة الصالحة غصبا عن أهلها، ولهذا الخضر لما خرق السفينة كانت لمصلحة المساكين أصحاب السفينة؛ لأنهم يمكنهم أن يُصلحوا هذا الفساد البسيط أفضل من أن يأخذها الملك كلها.

رابعا: هل نستطيع أن نفاضل بين القراءات القرآنية؟.

الجواب: هناك عشر قراءات لا يصح أن نفاضل بينها، لا يصح لنا أن نقول: قراءة حفص عن عاصم أفضل أو أصح من قراءة ورش عن نافع؛ لأنها كلها قرآن وكلها قراءات متواترة وصحيحة كما أن قراءة حفص عن عاصم متواترة وصحيحة وموافقة لرسم المصحف وموافقة للغة العربية كذلك قراءة ورش عن نافع أيضاً نفس الشروط لقراءة حفص عن عاصم.

خامسا: فما أسباب انتشار هذه القراءات في الأمصار؟.

الجواب: يكون لأمرين:

الأول: أن أصحاب النفوذ والسلطان كانوا يشجعوا ويأمروا الناس أن يُقرؤوا تلاميذهم بهذه القراءة.

يعني الملك أو السلطان كان إذا أراد أن يتوظف في دائرة الأوقاف لابد أن يكون عارف لقراءة كذا وكذا مثلا: قراءة حفص عن عاصم.

المدرس الذي يُريد أن يدرس أحكام التجويد لا بد أن يُدرس قراءة حفص عن عاصم.

ومن أراد أن يتوظف وظيفة رسمية لابد أن يكون حافظ لقراءة حفص عن عاصم وبالتالي أُشتُهرت هذه القراءات.

الثاني: بعض العلماء والمقُرئين والمشايخ كانوا يستحسنوا أي يستمتعوا بقراءة مثلا حفص عن عاصم فكانوا يُقرأوا الناس بهذه القراءة.

سادسا: ما اسباب انتشار قراءة حفص عن عاصم في بلاد المشرق الإسلامي؟. بلاد الشام العراق مصر وشرق آسيا.

الجواب:

السبب الأول: أن السلطانين في الدولة العثمانية أو الدولة التركية كانوا يشجعوا هذه القراءة، ويوظفوا الأئمة والمُقرئين الذين عندهم علم بهذه القراءة فاشتهرت هذه القراءة.

إذا السلاطين العثانين كان لهم الأثر في انتشار قراءة حفص عن عاصم في بلاد المشرق الإسلامي.

السبب الثاني: العلماء والشيوخ والمُقرئين اعتمدوا هذه القراءة في التعليم فكانت دور الكتاب والمدارس والجامعات فحفظوا الناس بهذه القراءة.

سابعا: ماهي القراءات التي يُقرأُ بها الآن في هذا العصر؟.

الجواب: القراءات المشهورة التي يُعمل بها وهناك مصاحف على حسب هذه القراءة هي:

أولا: قراءة: (حفص عن عاصم)، بلاد الشام ومصر والعراق وشرق آسيا وتركيا.

ثانيا: قراءة: (قالون وورش عن نافع). اشتهرت قراءة (قالون) في المغرب العربي ليبيا وتونس وبعض جهات الجزائر، (أما ورش): انتشرت في المغرب وموريتانيا ومعظم البلدان الأفريقية).

ثالثا: قراءة: (الدوري عن أبي عمرٍ البصري)، يُقرأ بها في السودان واليمن وبلاد أفريقيا والصومال ونيجيريا.

أما بالنسبة لباقي القراءات مثل:

قراءة حمزه الزيات، وابن عامر والكسائي وغيرهم فهي قراءات نسميها تراثية موجودة في الكتب فقط، تُدرس ولكن ليس لها بلدان مشهورة بها وليس بها قراء يُقرأون الناس بها، لكنها قراءة متواترة، لو أي شخص من المسلمين أراد أن يقرأ بأي قراءة من القراءات المتواترة العشر يصح له ذلك سواء بقراءة حمزه أو الكسائي وغيرهم. تقرأ في الصلاة ويتعبد بتلاوتها، لكن لا بد أن يُعلم الناس إذا كان إماما في الصلاة ويريد أن يقرأ بغير القراءة المشهورة عندنا أنه سيقرأ بقراءة فلان عن فلان.

ثامنا: نشأة القراءات القرآنية.

نشـــأت القراءات في زمن نزول القرآن الكريم نفسه، إذْ نزلت هكذا مِن عند الله، فلم تكن من اجتهاد أحد، بلْ هيَ وحيٌ أوحاه الله تعالى إلى نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وقد نقلها عنه أصحابه الكرام رضيَ الله عنهم حتى وصلت إلى الأئمة القُرَّاء، فوضعوا أصولها، وقعَّدوا قواعدها، في ضوء ما وصل إليهم، منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك؛ فالمُعوَّل عليه في القراءات، إنما هو التلقي بطريق التواتر، أوْ التلقي عن طريق نقل الثقة عن الثقة وصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وانطلاقاً مِن ذلك، وبناءً عليه: فإنَّ إضافة هذه القراءات إلى أفراد معينين، هم القُرَّاء الذين قرؤوا بها، ليس لأنهم هم الذين أنشؤوها أو اجتهدوا في تأليفها، بلْ هم حلقة في سلسلة من الرجال الثقات الذين رووا هذه الروايات ونقلوها عن أسلافهم، انتهاءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي تلقى هذه القراءات وحياً عن ربّه سبحانه. وإنما نُسِبَتْ القراءات إلى القرَّاء؛ لأنهم هم الذين اعتنوا بها وضبطوها، ووضعوا لها القواعد والأصول.

تاسعا: أسباب اختلاف القراءات.

اختلفت الآراء وتعددت الأقوال في أسباب اختلاف القراءات منها:

1- اختلاف اللهجات: يرجع السبب الأول فيها إلى تعدد وجوه قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتقريره لقراءة الصحابة إذ أراد الله تعالى أن يجعل لهم متسعاً من اللغات، ومتصرفاً في الحركات، تيسيراً عليهم في الدين.

2- اختلاف أسباب النزول: والتي باختلافها (اختلفت مصاحف أهل الشام والعراق وأهل الحجاز في أحرف معدودة).

والدليل على ذلك: ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم فلببته فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: كذبت فو الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده، فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وإنك أقرأتني سورة الفرقان فقال يا هشام اقرأها فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأتها التي أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه.

ولذلك فمسألة اختلاف القراءات وتعددها وأسباب نشوئها، كانت ولا زالت محل اهتمام العلماء.

ومن اهتمامهم بها بحثهم عن الحكم والفوائد المترتبة عليها ، وهى عديدة منها:

1- التيسير على الأمة الإسلامية: ونخص منها الأمة العربية التي شرفت بالقرآن، فراعى القرآن الكريم ذلك، فيما تختلف فيه لهجات هذه القبائل، دفعاً للمشقة عنهم، والتهوين عليهم، فالتيسير على الأمة، والتهوين عليها وهو السبب في تعدد القراءات.

2- الجمع بين حكمين مختلفين: مثل قوله تعالى: ((فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن))، حيث قرئ "يطهرن" بتخفيف الطاء وتشديدها، ومجموع القراءتين يفيد أن الحائض، لا يجوز أن يقربها زوجها إلا إذا طهرت بأمرين: أ- انقطاع الدم ، ب- الاغتسال.

3- الدلالة على حكمين شرعيين في حالين مختلفين: ومثال ذلك قوله تعالى: ((فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)) ، حيث قرئ "وأرجلكم" بالنصب عطفاً على "وجوهكم" وهى تقتضى غسل الأرجل؛ لعطفها على مغسول وهى الوجوه.

وقرئ "وأرجِلكم" بالجر عطفاً على رءوسكم" وهذه القراءة تقتضي مسح الأرجل ، لعطفها على ممسوح وهو الرؤوس. وفى ذلك إقرار لحكم المسح على الخفين.

4- دفع توهم ما ليس مراداً: ومثال ذلك قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله))، حيث قرئ "فامضوا إلى ذكر الله"، وفى ذلك دفع لتوهم وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة المفهوم من القراءة الأولى، حيث بينت القراءة الثانية أن المراد مجرد الذهاب.

5- إظهار كمال الإعجاز بغاية الإيجاز: حيث إن كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، وذلك من دلائل الإعجاز في القرآن الكريم، حيث دلت كل قراءة على ما تدل عليه آية مستقلة.

عاشرا: أنواع القراءات.

ذكر بعض العلماء أن القراءات: متواترة، وآحاد، وشاذة، وجعلوا المتواتر السبع، والآحاد الثلاث المتممة لعشرها، ثم ما يكون من قراءات الصحابة، وما بقي فهو شاذ.

واستخلص بعض العلماء أنواع القراءات فجعلها ستة أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه, وهذا هو الغالب في القراءات.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القرَّاء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ, وذكر العلماء في هذا النوع أنه يُقرأ به.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده، وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور. وهذا لا يُقرأ به، ومن أمثلته ما رُوِي عن أبي بكرة: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قرأ: "متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان" وما رُوِي عن ابن عباس أنه قرأ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} بفتح الفاء".

الرابع: الشاذ، وهو ما لم يصح سنده. كقراءة "ملك يوم الدين"3, بصيغة الماضي. ونصب "يوم".

الخامس: الموضوع، وهو ما لا أصل له.

السادس: المدرج، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير, كقراءة ابن عباس: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم في مواسم الحج، فإذا أفضتم من عرفات، فقوله: "في مواسم الحج" تفسير مدرج في الآية. والأنواع الأربعة الأخيرة لا يُقرأ بها.

ما تعريف القراءات المتواترة؟.

العلماء وضعوا لها شروط وعرفوها، وشروط القراءة المتواترة موجودة في التعريف نفسه.

القراءة المتواترة: كل قراءة وافقة اللغة العربية ووافقة رسم المصحف العثماني ولو تقديراً وتواتر نقلها.

شروط القراءة الصحيحة:

الأول: موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه. قال ابن الجزري: "وقولنا في الضابط "ولو بوجه" نريد وجهًا من وجوه النحو.

الثاني: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.

قال ابن الجزري: "ونعني بقولنا بـ"موافقة أحد المصاحف" ما كان ثابتًا في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) في البقر، بدون واو، (وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)، بزيادة الباء في الاسمين ونحو ذلك، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، في الموضع الأخير من سورة براءة بزيادة "من"، فإن ذلك ثابت في المصحف المكي..

وقولنا بعد ذلك: "ولو احتمالًا" نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديرًا؛ إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقًا وهو الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديرًا وهو الموافقة احتمالًا، فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعًا؛ نحو "السموات والصلحات، واليل، والصلوة، والزكوة، والربوا".. وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقًا ويوافقه بعضها تقديرًا نحو (مَلِكِ يَومِ الدّينِ)، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف. فقراءة الحذف تحتمله تحقيقًا وقراءة الألف محتملة تقديرًا.

الثالث: صحة السند إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

كيف أن تكون القراءة موافقة للغة العربية؟.

يعني الفاعل يكون مرفوع لو جاءت قراءة وقالت: جاء المؤمنين نقول خطأ؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فإذا جاءت القراءة مخالفة للغة العربية فهي شاذة.

إذا لابد للفاعل أن يكون مرفوع والمفعول به منصوب.

ومن التعريف نستطيع أن نذكر الشروط التي وضعها العلماء للقراءة المتواترة.

ما المراد بالقراءات القرآنية أصولاً وفرشاً وما أصولها؟.

What is meant by Quranic readings as assets and brushes, and ?what are their origins

أولاً: ما المراد بالقراءات القرآنية أصولاً وفرشاً.

1- الفرش: هو الخلاف الواقع في الكلمة الواحدة، التي يقل دورها وتكرارها في المصحف ولا تحكمها قاعدة، ولا يتحد حكمها، وتسمى أيضاً: الفروع، مثل قوله تعالى: {مَلِكِ}، {مَالِكِ}، فهذ يعد من فرش الحروف لعدم اندراجه ضمن أحد أبواب الأصول.

ثانيا: أصول القراءات القرآنية.

1- الإظهار:

2- الإبدال: هو إقامة الألف والواو والياء مقام الهمزة عوضًا عنها، أي إبدال الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فتبدل بعد الفتح ألفاً، وبعد الكسر ياءً، وبعد الضم واواً.

ومثال ذلك: {يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ} في قوله تعالى: {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} و {مُّوصَدَةٌ} في قوله تعالى: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ}.

2- النقل: هو إسقاط الهمزة، بنقل حركتها إلى الحرف الساكن قبلها، فإن كانت الهمزة مفتوحة فتح الساكن، أو مضمومة ضم الساكن، أو مكسورة كسر وحذفت الهمزة كـ {الاَرْضِ} في قوله تعالى: {لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ}، و {كُفُواً احَدٌ} في قوله تعالى {كُفُواً أَحَدٌ}، و{قَدَ افْلَحَ} في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}.

3- الإسقاط: إزالة إحدى الهمزتين المتلاصقتين بحيث لا تبقى لها صورة، وهو قسمان:

الأول: حذف الهمزة مع حركتها، وهذا القسم هو الذي يعبر عنه بالإسقاط، نحو: {جَا أَمْرُنَا} في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ}.

والثاني: حذفها بعد نقل حركتها، وهو النقل، مثال ذلك: {مِّلْءُ الاَرْضِ} في قوله تعالى: {فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً} ، ولم يأت إلا في المتحركة سواء كان إسقاطاً أم نقلاً.

4- الحذف: بمعنى الإسقاط، وهو إزالة الهمزة بحيث لا يبقى لها صورة، مثال: {وَالصَّابِينَ} في قوله تعالى: {وَالصَّابِئِينَ}، و{دَكًّا} في قوله تعالى: {دَكَّاء}، و {شركا} في قوله تعالى: {شُرَكَاء}، و{ليكة} في قوله تعالى: {الأَيْكَةِ}.

5- السكت: قطع الصوت على الساكن زمناً دون زمن الوقف من غير تنفس بنية العودة إلى القراءة في الحال. وله حالتان:

الحالة الأولى: أنه يكون في وسط الكلمة مثل: (القرآن) كما في قراءة حمزة.

الحالة الثانية: أنه يكون في آخر الكلمة - وصلا - نحو {مَنْ رَاقٍ} ، {بَلْ رَانَ}.

6- القطع: الكف عن القراءة، أي الانتهاء منها ولا يكون إلا في أواخر السور أو نهاية الآيات.

7- التحقيق: هو الإتيان بالهمز على صورته كامل الصفة من مخرجه وهو ضد التسهيل.

8- التغليظ (التفخيم): هو سِمَنٌ يعتري الحرف فيملأ الفم حال النطق وقد اصطلح العلماء على استعمال التفخيم في الراء والتغليظ في اللام.

9- الوقف: قطع الصوت عند آخر كلمة زمناً يُتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض عنها، ويكون الوقف في رؤوس الآيات وأواسطها، ولا يجوز في أواسط الكلمات التي اتصلت رسماً مثل {أينما}، و{إنما}.

10- الفتح: عبارة عن فتح القارئ فاه بلفظ الحرف، وقيل: هو النطق بالألف مركبة على فتحة غير ممالة.

11- الترقيق: هو نُحول يعتري الحرف، وهو ضربان:

الأول: يدخل على المفتوح كالإمالة.

والثاني: يدخل على غير المفتوح كالراءات، فكل إمالة ترقيق وليس العكس.

12- التسهيل: هو صرف الهمزة عن تحقيقها نطقا، وهو على أربعة أضرب:

*الأول: بين بين وهو النطق بالهمزة مسهلةً بينها وبين حرف المد.

*الثاني: حذف الهمزة رأساً مثل (مستهزون) بدلاً من (مستهزءون).

*الثالث: البدل المحض، وهو إبدال الهمزة واواً كـ (يويد)، أو ياءً كـ (ايت)، أو ألفاً كـ (ياتي) بدلاً من (يأتي).

*الرابع: التسهيل بالنقل مثاله: {وَبِالآخِرَةِ} ، ويعم التسهيل أنواع تغيير الهمزة بشكل عام، فيقال: التسهيل بالنقل، والتسهيل بالحذف، والتسهيل بالإبدال، والتسهيل بين بين. ولكن بشكل عام إذا أطلق التسهيل انصرف إلى الأول وهو بين بين.

14- الإشباع: إتمام الحكم المطلوب من تضعيف حرف المد أو اللين لمن له ذلك، وقد اصطلحوا على أنه بمقدار ألِفين، زيادة عن المقدار الطبيعي.

15- الإمالة: هي ضد الفتح وتعني: تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة، وهي ضربان:

الأول: الكبرى، وهي النطق بألف خالصة ممالة إلى الكسر كثيراً.

والثاني: الصغرى، ويعبر عنها بالتقليل وبين بين وتعني: النطق بألف منصرفة إلى الكسر قليلاً.

16- التقليل: هو النطق بالألف بحالة بين الفتح الكامل والإمالة المحضة ويقال له: بين بين أي بين لفظ الفتح ولفظ الإمالة. والإمالة بنوعيها لغة أهل نجد من بني أسد وتميم وقيس، كما يسمى أيضاً بالتلطيف.

17- الصلة: النطق بهاء الضمير المكنى بها عن المفرد الغائب موصولة بحرف مد لفظي يناسب حركتها فيوصل ضمها بواو ويوصل كسرها بياء وصلا لا وقفا، أو صلة ميم الجمع بواو حالة وصلها بما بعدها.

18- ياءات الإضافة: وهي التي في أواخر بعض الكلمات وتسمى بياء المتكلم أيضاً، وعلامتها حلول ضمير المخاطب أو الغائب محلها، وقد وقع بعضها قبل همزة

القطع، وبعضها قبل سائر الحروف من غير همزة، وتأتي في أقسام الكلام الثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف، ففي الاسم مثل (ربيَ)، وفي الفعل مثل (فطرني)، وفي الحرف مثل (منيَ).

19- ياءات الزوائد: هي الياءات التي تكون في أواخر الكلم، سميت الزوائد لزيادتها في القراءة على الكتابة ولأنها زيدت على الرسم، وتكون في الأسماء والأفعال ولا تكون في الحروف، نحو {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، {وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل}، {تَسْأَلْنِ}، و{يَوْمَ يَأْتِ}، و{وَعِيدِ}، و{دُعَاءِ}، ويشار في المصاحف التي برواية ورش بوضع ياء صغيرة مقلوبة (ي) وبحجم أصغر من الحروف التي كتب المصحف بها في آخر الكلمة التي فيها ياء زائدة.

القراء العشرة ورواتهم وطرقهم: منجد المُقرئين ومرشد الطَّالبين، دار الكتب العلميَّة، القاهرة، 1989م.

القراء العشرة:

1- الإمام نافع المدني: ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم) ت: 169 هـ).

راوياه: • الإمام قالون: عيسى بن مينا: (ت: 205 هـ)، من طريق: أبي نشيط.

• الإمام ورش: أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري: (ت: 197 هـ)، من طريق: أبي يعقوب يوسف الأزرق.

2 - الإمام ابن كثير المكي: عبد الله أبو سعيد: (ت: 120 هـ).

راوياه:• الإمام البزي: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بزة: (ت: 250 هـ)، من طريق: أبي ربيعة.

• الإمام قنبل: محمد بن عبد الرحمن بن محمد: (ت: 291 هـ)، من طريق: ابن مجاهد.

3 - الإمام أبو عمرو البصري: زبان بن العلاء المازني: (ولد في: 68 هـ).

راوياه: • الإمام الدوري: أبو عمر حفص بن عمر البغدادي: (ت: 246 هـ)، من طريق: أبي الزعراء.

• الإمام السوسي: أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الإهوازي: (ت: 261 هـ)، من طريق: أبي عمران موسى بن جرير.

4 - الإمام ابن عامر الدمشقي: عبد الله بن عامر اليحصبي: (ت: 118 هـ).

راوياه:• الإمام هشام: هشام بن عمار: (ت: 245 هـ). من طريق: الحلواني.

• الإمام ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد بن ذكوان القرشي: (ت: 242 هـ)، من طريق: الأخفش.

5 - الإمام عاصم الكوفي: أبو بكر عاصم بن أبي النجود: (ت: 127 هـ).

راوياه:• الإمام شعبة: أبو بكر شعبة بن عياش: (ت: 193 هـ)، من طريق: يحيى بن آدم.

• الإمام حفص: حفص بن سليمان الكوفي: (ت: 180 هـ).من طريق: عبيد بن الصباح.

6 - الإمام حمزة الكوفي: حمزة بن حبيب الزيات: (ت: 156 هـ).

راوياه:• الإمام خلف: خلف بن هشام البزار: (ت: 229 هـ)، من طريق: إدريس بن عبد الكريم.

• الإمام خلاد: خلاد بن خالد الشيباني: (ت: 220 هـ).من طريق: أبي بكر محمد بن شاذان.

7 - الإمام الكسائي الكوفي: علي بن حمزة الكسائي: (ت: 189 هـ).

راوياه: الإمام أبو الحارث: الليث بن خالد البغدادي: (ت: 240 هـ) من طريق: محمد بن يحيى.

الإمام الدوري: أبو عمر حفص بن عمر البغدادي: (ت: 246 هـ) من طريق: جعفر بن محمد النصيبي.

8 - الإمام أبو جعفر المدني: يزيد بن القعقاع المدني: (ت: 130 هـ).

راوياه:• الإمام ابن وردان: عيسى بن وردان المدني: (ت: 160 هـ)من طريق: الفضل بن شاذان.

الإمام ابن جماز: سليمان بن مسلم الزهري: (ت : 170 هـ) من طريق: أبي أيوب الهاشمي.

9 - الإمام يعقوب البصري: يعقوب بن إسحاق الحضرمي: (ت: 205 هـ).

راوياه: الإمام رويس: رويس محمد بن عبد الله بن المتوكل البصري: (ت: 238 هـ) من طريق: محمد بن هارون التمار، عن النخاس.

الإمام روح: روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري: (ت: 235 هـ) من طريق: أبي بكر محمد بن وهب.

10 - الإمام خلف العاشر: خلف بن هشام البزار: (ت: 229 هـ).

راوياه : الإمام إسحاق: إسحاق بن إبراهيم الوراق البغدادي: (ت: 286 هـ) من طريق: السوسنجردي.

الإمام إدريس: إدريس بن عبد الكريم الحداد: (ت: 292 هـ) من طريقي: المطوعي.

والقطيعي.

وكما تعلم أن كل ما أخذ عن إمام من الأئمة العشرة مما أجمع عليه الرواة عنه.. فهو:«قراءة»، وكل ما أخذ عن راويَيْه.. فهو:«رواية»، وكل ما أخذ عن الراوي.. فهو:«طريق».

النسخ مفهومه وأقسامه.

.Transcription is its concept and sections

أولا: مفهوم النسخ في اللغة والاصطلاح.

النسخ في اللغة: أن يكون ماخوذا من قول العرب: نسخت الريح الاثار، اذا أزالتها فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الاثار.

أما النسخ في الاصطلاح: فهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

فالرّفع هو (النّسخ)، والحكم الشّرعيّ المرفوع هو (المنسوخ)، والحكم الشّرعيّ المتأخّر هو (النّاسخ).

ثانيا: أقسام النسخ.

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن.

وهذا القسم متفق على جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ.

مثال قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ)، نسخت بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ).

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسُّنَّة: وتحت هذا نوعان:

أ- نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية، والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب- ونسخ القرآن بالسُّنَّة المتواترة، وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية؛ حيث قالوا: (إن الكل وحي) استناداً إلى قوله تعالى: (وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى).

وقوله تعالى: (وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)، والنسخ نوع من البيان.

ولقد منعه الإمام الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في روايته الأخرى؛ لقوله تعالى: (ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها)، والسنة ليست خيرا من القرآن، ولا مثله.

القسم الثالث: نسخ السُّنَّة بالقرآن، ويجيزه الجمهور، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسُّنَّة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نُسِخَ بالقرآن في قوله: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

ووجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتًا بالسُّنَّة ونُسِخ بقوله: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ).

ومنع هذا القسم الشافعي في إحدى روايتيه، وقال: "وحيث وقع بالسُّنَّة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعه سُنة عاضدة تبيّن توافق الكتاب والسُّنَّة".

القسم الرابع: نسخ السُّنَّة بالسُّنَّة، وتحت هذا أربعة أنواع.

1- نسخ متواترة بمتواترة.

2- ونسخ آحاد بآحاد، كقوله- صلّى الله عليه وسلّم- ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا)).

3- ونسخ آحاد بمتواترة.

4- ونسخ متواترة بآحاد.

والثلاثة الأولى جائزة، أما النوع الرابع ففيه الخلاف الوارد في نسخ القرآن بالسُّنَّة الأحادية، والجمهور على عدم جوازه.

أما نسخ كل من الإجماع والقياس والنسخ بهما فالصحيح عدم جوازه.

أنواع النسخ في القرآن وأمثلته.

.Types of copies in the Qur'an and examples

أولاً: أنواع النسخ.

النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معًا.

لا تجوز قراءته، ولا العمل به؛ لأنه قد نسخ بالكلية فهو كآية التحريم بعشر رضعات، روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنها قالت: (كان فيما نزل من القرآن ((عشر رضعاتٍ معلوماتٍ يحرّمن)) فنسخن بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهي مما يقرأ من القرآن).

قال الفخر الرازي رحمه الله: فالجزء الأول هو العشر منسوخ الحكم والتلاوة، والجزء الثاني، وهو الخمس منسوخ التلاوة باقي الحكم عند الشافعية.

النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة.

ومثاله: نسخ حكم آية العِدَّة بالحول مع بقاء تلاوتها - وهذا النوع هو الذي أُلِّفت فيه الكتب وذكر المؤلفون فيه الآيات المتعددة.

ما الحكمة من نسخ الحكم وبقاء التلاوة؟.

قال العلامة الزركشي رحمه الله: (وهنا سؤال وهو أن يسأل: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القرآن كما يُتلى ليُعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يُتلى كذلك لكونه كلام الله تعالى فيُثاب عليه، فتُرِكت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيهما: أن النسخ غالبًا يكون للتخفيف, فأُبقيت التلاوة تذكيرًا بالنعمة في رفع المشقة.

النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

وقد ذكروا له أمثلة كثيرة، منها آية الرجم: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم)).

أن هذه الآية لم يعد لها وجود بين دفتي المصحف ولا على ألسنة القراء مع أن حكمها باق على إحكامه لم ينسخ.

ثانيا: أمثلة للنسخ: وقد ذكر السيوطي في الإتقان إحدى وعشرين آية اعتبرها من قبيل النسخ نذكر منها ما يأتي ونُعَلِّق عليه.

1- قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ) منسوخة بقوله: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)، وقد قيل - وهو الحق- إن الأُولى غير منسوخة؛ لأنها في صلاة التطوع في السفر على الراحلة وكذا في حال الخوف والاضطرار، وحكمها باق، كما في الصحيحين، والثانية في الصلوات الخمس، والصحيح أنها ناسخة لما ثبت في السُّنَّة من استقبال بيت المقدس.

2- قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)، قيل منسوخة بآية المواريث، وقيل بحديث: ((إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث)).

3- قوله: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ)، نُسِخت بقوله: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، لما في الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: لما نزلت (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ)، كان من أراد أن يُفطر يفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

وذهب ابن عباس إلى أنها مُحكمة غير منسوخة: روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس - رضي الله عنهما- يقرأ: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ)، قال ابن عباس: ((ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيُطعمان كل يوم مسكينًا)) - وليس معنى ((يطيقونه)) على هذا: يستطيعونه، وإنما معناه يتحملونه بمشقة وكلفة.

وبعضهم جعل الكلام على تقدير ((لا)) النافية، أي: وعلى الذين لا يطيقونه.

4- قوله: (يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)، نُسِخت بقوله: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)، وقيل: يُحمل عموم الأمر بالقتال على غير الأشهُر الحُرُم فلا نسخ.

5- قوله: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)، نُسِخت بقوله: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً).

وقيل إن الآية الأولى مُحكمة؛ لأنها في مقام الوصية للزوجة إذا لم تخرج ولم تتزوج، أما الثانية فهي لبيان العدَّة، ولا تنافي بينهما.

6- قوله: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)، نُسِخت بقوله: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا).

7- قوله: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ)، نُسِخت بآية المواريث وقيل - وهو الصواب- إنها غير منسوخة وحكمها باق على الندب.

8- قوله: (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا)، نُسِختا بآية الجلد للبِكْر في سورة النور: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)، وبالجلد للبِكْر وبالرجم للثيّب الوارد في السُّنَّة: ((البِكْر بالبِكْر جلد مائة ونفي سنة، والثيّب بالثيّب جلد مائة والرجم)).

9- قوله: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)، نُسِخت بقوله: (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ).

10- قوله: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً), نُسِخَت بقوله: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى...) وبقوله: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...).

ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز، وما الحكمة منه.

What is permissible in the copies and what is not permissible, and what is the wisdom of it.

يَنْبَغِي لتالي الْقُرْآن أَن يعرف ناسخه ومنسوخه.

محكمه ومتشابه.

في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ).

قال القاضي: المحكم: المفسر، والمتشابه: المجمل؛ لأن الله -سبحانه- سمى "المحكمات" "أم الكتاب" وأم الشيء: الأصل الذي لم يتقدمه غيره، فيجب أن يكون المحكم غير محتاج إلى غيره، بل هو أصل بنفسه.

المحكم: هو ما كانت دلالة واضحة ولا تلتبس بأمر آخر كالأوامر الإلهية في القرآن الكريم والقضايا الأخلاقية.

ظاهر كلام أحمد رحمه الله: أن "المحكم": ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان.

و"المتشابه": ما احتاج إلى بيان.

أي: المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما يحتمل وجهين أو أكثر منهما.

مثال ما جاء في المحكم:

قوله تعالى: (فيه آياتٌ بياتٌ مقامُ ابراهيم ومن دخله كان آمنا).

فيه دلالة واضحة على وجوب الحج عند الاستطاعة.

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر....).

فيه دلالة واضحة في النهي عن ارتكاب الفواحش والمعاصي الكبيرة.

الحكم الواضح؛ وهو إمَّا حلال بيّنٌ لا خلاف عليه ولا يحتمل إلا معنًى واحدًا، وإمَّا حرام بيّنٌ لا خلاف عليه ولا يحتمل إلا معنًى واحدًا.

والمحكم: ما دل عليه نصٌّ محكم قطعيُّ الثُّبُوت قطعيُّ الدَّلالة؛ وهو إمَّا نصٌّ قرآنيٌّ قطعيُّ الدَّلالة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 4]، أو حديثٌ صحيحٌ قطعيُّ الدَّلالة؛ كالحديث المتفَق عليه: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ البِتْعِ (نبيذ العسل)، فَقَالَ: ((كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ، فَهُوَ حَرَامٌ))؛ البخاريُّ (242، 5585)، ومسلم (2001)؛ فقوله صلى الله عليه وسلم: ((كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ، فَهُوَ حَرَامٌ))، نصٌّ قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

أما المتشابه: فهو ما كان ظَنِّيَّ الدلالة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: 6].

ففي معنى قوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: 6]، اختلف العلماء في معنى المسح، وفي دلالة حرف الباء، وفي خفْض (كسر)، أو نصب، أو رفع "وَأَرْجُلَكُمْ".

قال القرطبيُّ: (قرأ نافع وابن عامر والكسائي: "وَأَرْجُلَكُمْ" بالنصب، وروى الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ: "وَأَرْجُلُكُمْ" بالرفع، وهي قراءة الحسن والأعمش سليمان، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزةُ: "وَأَرْجُلِكُمْ" بالخفض، وبحسَب هذه القراءات اختلف الصحابة والتابعون)، فالنص القرآني هنا ظنيُّ الدلالة، ويحتمل أكثرَ من وجه، وترتَّبَ على ذلك أكثرُ من حُكم؛ لذا فهو من المتشابه.

وعامه وخاصه، ومقدمه ومؤخره، وموصوله ومفصوله، وغريبه وَمَا لَا يعرف مَعْنَاهُ إِلَّا باللغة أَو بِالسنةِ أَو بِالْإِجْمَاع.

قَالَ ابْن عَبَّاس: أنزل الْقُرْآن على أَرْبَعَة أوجه: حَلَال وَحرَام وَلَا يسع جَهله وَتَفْسِير يُعلمهُ الْعلمَاء وعربية تعرفها الْعَرَب وَتَأْوِيل لَا يُعلمهُ إِلَّا الله.

مَا يجوز فِيهِ النّسخ وَمَا لَا يجوز فِيهِ ذَلِك بعد أَن ذكر أَن فِي الْقُرْآن نَاسِخا ومنسوخا وَرَأى أَن على قَارِئ الْقُرْآن المتدبر لَهُ معرفَة ذَلِك قَالَ إِن فِي الْقُرْآن مَعْنيين لَا يجوز فيهمَا النّسخ وَمن دَان بِأَنَّهُ يجوز فيهمَا النّسخ فقد كفر.

أولا: ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز.

1 - صِفَات الله وأسماؤه: فَلَا يحل لأحد أَن يعْتَقد أَن مدح الله جلّ شَأْنه وَلَا صِفَاته وَلَا أسماؤه يجوز أَن ينْسَخ جلّ وَعز وصف نَفسه بصفاته الْكَامِلَة فَمن أجَاز النّسخ فِيهَا أجَاز أَن يُبدل أسماءه الْحسنى فيبدلها قبيحة وَصِفَاته الْعليا فَتكون دنية نَاقِصَة سفلى ومدحه الظَّاهِر فَتكون مذمومة دنية جلّ وَتَعَالَى عَن ذَلِك علوا كَبِيرا.

س: ما الفرق بين الصفات والاسماء؟.

2 - وأخباره تَعَالَى عَمَّا كَانَ وَيكون؛ لِأَنَّهُ بذلك يكون منصرفا من الصدْق إِلَى الْكَذِب وَمن الْحق إِلَى الْهزْل واللعب وَإِنَّمَا ينْسَخ أخباره الْكذَّاب أَو الْمخبر بِالظَّنِّ.

ويجوز النّسخ في:

فِي الْأَحْكَام: فِي الْأَمر وَالنَّهْي، وَالْحُدُود، والعقوبات فِي أَحْكَام الدُّنْيَا.

ثانياً: الحكمة من النسخ.

1 - النّسخ جار مع مقاصد الشّرع لتحقيق مصلحة المكلّف، فتارة ينزل الوحي بالحكم الشّاقّ على المكلّفين؛ لأجل اختبارهم وامتحان صدق إيمانهم.

كما في نزول قوله تعالى: (وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ)، فقد نال المسلمين منه حرج شديد، فلمّا وقع منهم التّسليم والانقياد أنزل الله عزّ وجلّ تصديق ما في قلوبهم: (آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)، ونزلت الآية بعدها بالتّخفيف. هذا الوجه على قول من يعدّ هذه الصّورة نسخا.

2 - وتارة من أجل التّدرّج في التّشريع لحداثة النّاس بالجاهلية، ولا يخفى ما فيه من تأليف قلوبهم على الإسلام، وتهيئتهم لما أريدوا له من نصر دين الله، إذ كانوا الجيل

الّذي اصطفاه الله عزّ وجلّ لنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأخذوا بالأخفّ فالأثقل تحقيقا لهذه الغاية.

مثاله: التّدرّج في الصّلاة في قلّة الرّكعات، ثمّ نسخ ذلك بفرض الصّلاة بركعاتها المعلومة.

مهم: فعن أمّ المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، قالت: فرض الله الصّلاة حين فرضها ركعتين، ركعتين، في الحضر والسّفر، فأقرّت صلاة السّفر، وزيد في صلاة الحضر.

وفي رواية، قالت: فرضت الصّلاة ركعتين، ثمّ هاجر النّبيّ صلى الله عليه وسلم ففرضت أربعا، وتركت صلاة السّفر على الأوّل.

وكالتّدرّج في الصّيام بفرض صوم يوم واحد أوّلا هو يوم عاشوراء، ثمّ نسخ بصوم شهر رمضان أو بدفع الفدية لمن شاء بدلا من صومه، ثمّ نسخ بفرض صومه لمن شهده صحيحا مقيما.

والدّليل على صحّة ذلك حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: صام النّبيّ صلى الله عليه وسلم عاشوراء، وأمر بصيامه، فلمّا فرض رمضان ترك.

وحديث عبد الرّحمن بن أبي ليلى، قال: حدّثنا أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم: نزل رمضان، فشقّ عليهم، فكان من أطعم كلّ يوم مسكينا ترك الصّوم ممّن يطيقه، ورخّص لهم في ذلك، فنسختها: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ)، فأمروا بالصّوم.

وحديث سلمة بن الأكوع، رضي الله عنه، قال: لمّا نزلت هذه الآية: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ [البقرة: 184]، كان من أراد منّا أن يفطر ويفتدي فعل، حتّى نزلت هذه الآية الّتي بعدها فنسختها.

3 - كما في النّسخ إظهار نعمة الله عزّ وجلّ بما يرفع به من الحرج والضّيق بنوع سابق من أنواع التّكليف، وخذ مثاله غير ما تقدّم في عدّة المتوفّى عنها زوجها، حيث فرض الله عليها أن تعتدّ عاما كاملا أوّل الأمر، وهذه المدّة على وفاق ما كانت تعتدّه إحداهنّ في الجاهليّة، فخفّف الله عن النّساء بأن جعلها أربعة أشهر وعشرا.

فأمّا اعتدادها عاما، فكما في قول الله عزّ وجلّ: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ، فنسخ الله ذلك بقوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً).

وإظهار الفضل فيه يتبيّن بما حدّث به حميد بن نافع أحد التّابعين، عن زينب بنت أمّ سلمة، قالت: سمعت أمّ سلمة تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إنّ ابنتي توفّي عنها زوجها، وقد اشتكت عينها، أفتكحلها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا»، مرّتين أو ثلاثا، كلّ ذلك يقول: «لا»، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكنّ في الجاهليّة ترمي بالبعرة على رأس الحول».

قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟، فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفّي عنها زوجها دخلت حفشا، ولبست شرّ ثيابها، ولم تمسّ طيبا حتّى تمرّ بها سنة، ثمّ تؤتى بدابّة: حمار أو شاة أو طائر، فتفتضّ به، فقلّما تفتضّ بشيء إلّا مات، ثمّ تخرج فتعطى بعرة، فترمي، ثمّ تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره.

وبقي النّاسخ والمنسوخ يتلى في كتاب الله تذكيرا بفضل الله، بما جاء به دينه من التّيسير.

4 - كما يقع في النّسخ تطييب نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفوس أصحابه بتمييز هذه الأمّة على الأمم وإظهار فضلها.

ومثاله قصّة نسخ استقبال القبلة، حيث كانت حين فرضت الصّلاة إلى بيت المقدس، ثمّ حوّلت إلى الكعبة.

وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ: (سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (143) قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ).

ترتيب الآيات والسور.

Arranging verses and fences

أولا: ترتيب الآيات:

س: هل أن ترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وما الدليل؟.

الجواب: إنّ النصوص الكثيرة والإجماع علي ترتيب الآيات في السورة الواحدة أمر معلوم ومشهور بين جمهور الصحابة رضي الله عنهم، حيث لم يقع خلاف بين الأمة في أن ترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلّم، إذ كان يقرؤه على الصحابة ليل نهار، ولم يُسمع من أحدهم أنه خالفَ في ترتيب آية من الآيات.

القرآن سور وآيات منها القصار والطوال، والآية: هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن، والسورة: هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع. وترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وحكى بعضهم الإجماع على ذلك: منهم: الزركشي في "البرهان": وأبو جعفر بن الزبير في "مناسباته" إذ يقول: " ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه - صلى الله عليه وسلم- وأمره من غير خلاف بين المسلمين".

وجزم السيوطي بذلك فقال: "الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك" فقد كان جبريل يتنزل بالآيات على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبل، فيأمر الرسول كتبة الوحي بكتابتها في موضعها، ويقول لهم: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا أو كذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا، كما بلَّغها أصحابه كذلك.

وجاءت الأحاديث الدالة على فضل آيات من سور بعينها، كما جاءت الأحاديث الدالة على آية بعينها في موضعها، ويستلزم هذا أن يكون ترتيبها توقيفيًّا، إذ لو جاز تغييرها لما صدقت عليها الأحاديث.

أما الأدلة من النصوص على ذلك كثيرة.

1. عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّي كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالأَرْضِ، قَالَ ثُمَّ شَخَصَ بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَي وَيَنْهَي عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

2. عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ لِعُثْمَانَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا إِلَي قَوْلِهِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ قَدْ نَسَخَتْهَا الأُخْرَي فَلِمَ تَكْتُبُهَا أو تَدَعُهَا - أي لماذا تثبتها بالكتابة أو تتركها مكتوبة وأنت تعلم أنها منسوخة؟- يَا ابْنَ أَخِي لا أُغَيِّرُ شيئا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ.

مهم: قال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا.

وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه وأن ترتيبه ونظمه ثابت علي ما نظمه الله تعالي ورتّبه عليه رسوله من آي السور لم يُقدّم من ذلك مؤخّر ولا أخّر منه مقدّم وأن الأمة ضبطت عن النبي صلي الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة.

وقال البغوي في شرح السنة: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن علي الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه علي ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في

سورة كذا فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ علي هذا الترتيب أنزله الله جملة إلي السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرّقاً عند الحاجة وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

ثانياً: ترتيب السور:

س: ما الخلاف الحاصل بين العلماء في مسألة ترتيب السور؟.

الجواب: فقد وقع فيها خلاف؛ هل كان بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلّم أم باجتهاد من الصحابة؟ وبعض العلماء يجعل الخلاف على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلّم، تولاه النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع عليه.

ويؤيد هذا الرأي:

ما رواه البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأُوَل، وهن من تِلادى" فذكرها نسقًا كما استقر ترتيبها.

ورُوي من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: "سمعت ربيعة يسأل: لم قُدِّمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة مكية، وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قُدِّمتا وأُلِّف القرآن على علم ممن أَلَّفه به، ثم قال: فهذا مما يُنْتَهى إليه ولا يُسأل عنه".

وقال ابن الحصار: " ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف".

قال عبد الرحمن بن وهب: "سمعت مالكا يقول: "إنما أُلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال البغوي في شرح السنة: "والصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزل الله على رسوله من غير أن يزيدوا أو ينقصوا منه شيئا، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا.

الثاني: أن الترتيب باجتهاد الصحابة بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب.

فمصحف "علي" كان مرتبًا على النزول، أوله: اقرأ، ثم المدثر، ثم ن والقلم، ثم المزمل وهكذا ... إلى آخر المكي والمدني.

وكان أول مصحف ابن مسعود: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

وأول مصحف أُبَي: الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

وقد روي عن ابن عباس- رضي الله عنه - قال: قلت لعثمان ما حملكم علي أن عمدتم إلي الأنفال وهي من المثاني والي براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال، فقال عثمان: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظنت أنها منها فقبض رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال.

مفهوم جمع القرآن ومراحله.

.The concept of collecting the Qur’an and its stages

تعريف القرآن في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريفه:

فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن الممتازة.

ومنهم من اختصر فيه وأوجز.

ومنهم من اقتصد وتوسط.

أقرب هذه التعريفات وأشملها أن يُقال فيه: (الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته).

وأن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة.

تعريف الجمع في الاصطلاح:

تطلق كلمة جمع القرآن الكريم ويراد منها:

1. حفظه واستظهاره في الصدور ومنه قوله تعالى: (إنا علينا جمعه وقرآنه) فهذا جمع في القلوب والصدور.

2. كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسورا وهذا جمع في الصحائف والسطور.

قال أبو بكر الباقلاني في الاتقان يراد جمعه أي القرآن الكريم:

1. جمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها.

2. جمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ.

3. تلقيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة بخلاف، ويراد به كتابته.

يُطلق جمع القرآن ويُراد به عند العلماء أحد معنيين:

المعنى الأولى: جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب، ويدل له:

قال تعالى: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ, إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ, فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ, ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}. أي : جمعه في صدرك ، وإثبات قراءته في لسانك.

عن ابن عباس قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرّك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ, إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} قال: يقول إن علينا أن نجمعه في

صدرك ثم نقرأه: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ} يقول: إذا أنزلناه عليك: {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} فاستمع له وأنصت {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} أن نبينه بلسانك.

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته كله، مفرَّق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة، في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعًا وقد رُتِّب إحداها بعد الأخرى.

ما المراحل التي مر بها جمع القرآن الكريم.

1- جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

1- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبي, صلى الله عليه وسلم:

اتجهت همة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أخذ القرآن يتنزل عليه إلى حفظ آياته واستظهارها خشية أن يفلت منها شيء فينساه، أداء منه صلى الله عليه وسلم للأمانة الملقاة عليه، وكان قلق النفس بسبب ذلك، حتى نزلت عليه الآية القرآنية التي دعته إلى الاطمئنان، ووعدته بأن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن وبيانه، قال تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ [القيامة: 16 - 19]، وقال أيضا: وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه: 114].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ويعيد قراءته، ويقرئه لأصحابه، ويحثهم على حفظه في الصدور، وروت السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان جبريل يعارضني القرآن في كل سنة مرة».

وكان إذا هاجر رجل دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل من الصحابة يعلّمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

وقال ابن الجزري صاحب كتاب النشر في القراءات العشر المتوفى سنة 533 هـ: « ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة».

وهذا يؤكد لنا أن الأساس في حفظ القرآن هو حفظه في الصدور، وبخاصة أن معظم الصحابة كانوا أميين لا يقرءون ولا يكتبون، وليس من اليسير عليهم أن يكتبوا القرآن، واعتمدوا على الحفظ في الصدور، وتكرار ذلك، حتى أصبحت آيات

القرآن في صدر كل صحابي محفوظة يستشهد بها في كل مناسبة ويقرؤها في كل صلاة.

ما السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهده صلى الله عليه وسلم:

لم يجمع القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم على هيئة مصحف لأسباب منها:

1. ما كان يترقبه النبي صلى الله عليه وسلم من تتابع نزول الوحي حيث كان الوحي يتنزل تباعًا فيحفظه القراء، ويكتبه الكتبة، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحي من حين لآخر، وقد يكون منه الناسخ لشيء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول بل تُكتب الآية بعد نزولها حيث يشير - صلى الله عليه وسلم- إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا، ولو جُمع القرآن كله بين دفتي مصحف واحد لأدى هذا إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحي.

قال الزركشي: "وإنما لم يُكتب في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- مصحف لئلا يُفضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته, صلى الله عليه وسلم".

وبهذا يُفسَّر ما رُوِيَ عن زيد بن ثابت، قال: "قُبِضَ النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن القرآن جُمع في شيء" أي لم يكن جُمع مرتب الآيات والسور في مصحف واحد.

قال الخطابي: إنما لم يجمع - صلى الله عليه وسلم- القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته.

2. أن ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لم يكن على حسب النزول ، بل على حسب ما هو في اللوح المحفوظ الذي بُلِّغه النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام.

فلو كتب القرآن مرتبا حسب نزوله لخالف ترتيبه في اللوح المحفوظ، ولوقع اضطراب في كثير من آياته وتداخلت آيات سورة بآيات أخرى بما يتنافى وإعجازه.

3. أن المدة بين آخر ما نزل من القرآن الكريم وبين وفاته صلى الله عليه وسلم قصيرة جدا، وهي غير كافية لجمع القرآن بين دفتي مصحف واحد.

4. أنه لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بخير وأمن، والقراء كثيرون، والفتنة مأمونة، وفوق هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مقتل الحفاظ حتى خاف على ضياع القرآن الكريم.

ب- جمع القرآن بمعنى كتابته على عهد الرسول, صلى الله عليه وسلم:

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوثق ما نزل عليه من القرآن بكتابته، بالإضافة إلى حفظه في الصدور، واختار بعض الصحابة الذين يحسنون الكتابة لكي يكتبوا القرآن.

وقال الإمام الحارث بن أسد المحاسبي في كتابه فهم السنن: كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرّقا في الرقاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء».

إذا اتخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتَّابًا للوحي من أجلَّاء الصحابة. كعلي، ومعاوية، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، فتنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تُظاهِر الكتابة في السطور، الجمع في الصدور.

واشتهر بجمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة من الصحابة من الأنصار هم: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد.

فكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم، دون أن يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فيخطونه بالعسب: هو جريد النخل.

واللِّخاف: هي صفائح الحجارة.

الكرانيف: وهي أصول السعف الغلاظ.

والرقاع: وهذه قد تكون من جلد.

والأقتاب: هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليُركب عليه.

والأكتاف: هو العظم للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه.

فعن زيد بن ثابت قال: " كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم- نُؤلِّف القرآن من الرقاع".

وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ.

والروايات الواردة تؤكد حقائق أساسية تلقي الضوء على كيفية حفظ القرآن وجمعه وكتابته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

الحقيقة الأولى: الاعتماد على الحفظ في الصدور، وكان هذا الحفظ عاما لدى جميع الصحابة، يتسابقون إليه، ويجتمعون في المساجد لقراءة القرآن وحفظه، ولا يمكن تصور صحابي لا يحفظ بعض آيات القرآن، ويتفاوتون في مدى ذلك الحفظ، فمنهم الحفاظ ومنهم القراء، ومنهم كتاب الوحي، ومنهم من يحفظ القليل أو الكثير مما تيسر له.

الحقيقة الثانية: تأكيد كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبين يدي رسول الله، عقب نزول القرآن، وكان يختص بذلك كتاب الوحي، وأسماؤهم معروفة، والروايات تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة القرآن، وكان الصحابة يكتبون، ونهاهم عن كتابة السنة لئلا يقع الالتباس عليهم فيما كتبوه، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على سلامة النص القرآني.

الحقيقة الثالثة: ليس هناك شيء من القرآن لم يكن مكتوبا، فكل القرآن مكتوب، وكتاب الوحي متعددون، بحيث إذا غاب البعض عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى الآخرون الكتابة، ولا يتصور غياب الجميع، وبخاصة أن كتاب الوحي كانوا من أقرب الناس لرسول الله، ومنهم الخلفاء الأربعة.

الحقيقة الرابعة: لم يكن القرآن مجموعا في مصحف وفق ترتيب واحد، وكان كتاب الوحي يحتفظون بما كتبوه، بحيث يسهل على من أراد جمع القرآن أن يقوم بذلك، والسبب في عدم الجمع هو استمرار نزول الوحي حتى الأيام الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم، ولم تكن الحاجة ملحة لجمع القرآن، لوضوح نصوصه محفوظة في الصدور، ولثبوت نصوصه مدونة في الرقاع لدى كتاب الوحي ولدى غيرهم ممن كان يحرص على كتابة القرآن.

الحقيقة الخامسة: لا مجال للشك في ثبوت النصوص القرآنية، وما قام به أبو بكر فيما بعد لا يتعدى حدود الجمع، وتوثيق ذلك الجمع والاطمئنان إلى سلامة النص

القرآني، ومطابقة النصوص المكتوبة بما هو محفوظ في صدور القراء الذين اشتهروا بالحفظ والدقة.

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر, رضي الله عنه.

The second stage: the collection of the Qur'an during the era of Abu Bakr, may God be pleased with him.

في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي سار الصحابة على منهج المصطفى واستنوا بسنته، وسلكوا طريقته في العناية بكتاب اهلل تعالى، واتجهت جهودهم إلى العناية بكتاب الله تعالى حفظا وكتابة وتطبيقا، وشهد عصر الصديق حروب الردة التي قتل فيها عدد كبير من حفظة كتاب الله تعالى، وخاصة في موقعة اليمامة التي قتل فيها عدد كبير من القراء من حفظة كتاب الله، مما جعل سيدنا عمر بن الخطاب يفزع إلى أبي بكر ويشير عليه بجمع القرآن في مصحف واحد، فتم هذا العمل العظيم، وتم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، بعد التقصي والتحري في جمعه، وذلك من قبل اللجنة المكلفة بذلك، والتي كان على رأسها الصحابي الجليل زيد بن ثابت.

س: ما أشهر روايات جمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه؟.

الجواب: من أشهر روايات جمع القرآن في عهد أبو بكر الصديق هي التي يرويها الإمام الزهري عن عبيد بن السباق في صحيح البخاري: فعن زيد بن ثابت قال: "أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرَّاء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أريد أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله, صلى الله عليه وسلم؟ قال:

عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر - قال زيد: قال: أبو بكر: *إنك شاب عاقل ولا نتهمك، *وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله, صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللِّخاف وصدور الرجال، ووجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}, حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر".

ما أهم القضايا التي تشير إليها هذه الرواية؟.

الجواب: تشير هذه الرواية الى جملة قضايا هامة في تاريخ جمع القرآن الكريم في هذه الفترة.

أولا: تبين السبب الذي دفع الى جمع القرآن وهو الخوف من ذهاب شيء منه بذهاب حفظته وهذا الموقف الذي عرضه عمر رضي الله عنه بضرورة جمع القرآن كان تجربة من نوع جديد.

ثانيا: توضيح أن القرآن لم يجمع من قبل بهذه الصورة، وذلك مفهوم من تردد الصديق وزيد بن ثابت وقولهم: "كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله, صلى الله عليه وسلم"؟ فبعد أن اطمأن الصديق وشرح الله صدره لذلك عرض الفكرة على زيد بن ثابت ورغب اليه أن يقوم بتنفيذها، فتردد زيد أول الأمر ولكن أبا بكر ما زال به يعالج شكوكه ويبين له وجه المصلحة حتى اطمأن واقتنع بصواب ما ندب إليه.

شرع زيد في جمع القرآن طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ وحذر دقيق وتحريات شاملة فلم يكتف بما حفظ في قلبه ولا بما كتب بيده ولا بما سمع بأذنه.

بل جعل يتتبع ويستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين: أحدهما ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني: ما كان محفوظا في صدور الرجال. وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا من

المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما اللجنة المكلفة بالجمع؟.

الجواب: بعد أن اقتنع سيدنا أبو بكر الصديق برأي عمر في جمع القرآن، أسند أبو بكر هذه المهمة إلى زيد بن ثابت، وكلفه بمهمة جمع القرآن الكريم وكتابته في مصحف واحد، في الحديث قال أبو بكر رضي الله عنه: "إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه".

ويمكن إيضاحها كما ذكرها ابن حجر في الفتح بما يلي:

1. إنه شاب يتوفر فيه النشاط والحماسة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وحتى لا تفتر عزيمته أثناء العمل.

2. إنه عاقل فطن يحسن التصرف ، فيكون أوعى لما يعمله، وحتى لا يقع في عمله نقص أو خلل.

3. إنه غير متهم في دينه لا يتطرق إليه تجريح أو تفسيق فلا يكون في عمله أدنى ريبة أو شك ، وقد استشعر هو خطورة المهمة وضخامتها حيث قال: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن".

4. إنه أحد كتبة الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم ويكفي بها مزية وقد أشار إليه الصديق رضي الله عنه بقوله: " وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله".

5 الدقة التي أتصف بها زيد، فقد كان يتحرى الدقة، ويشهد لذلك قوله: " فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال "، فلم يعتمد حفظه فقط، أو كونه من كتاب الوحي، بل تحرى الدقة والاستقصاء في جمع القرآن. 6- شهوده العرضة الأخيرة للقرآن، قال أبو شامة "قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كَتْب المصاحف ، رضي الله عنهم أجمعين.

فبدأ زيد بن ثابت في مهمته الشاقة معتمدًا على المحفوظ في صدور القرَّاء، والمكتوب لدى الكتبة، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، حتى إذا توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة صارت بعده إلى عمر، وظلت عنده حتى مات - ثم كانت عند حفصة ابنته صدرًا من ولاية عثمان حتى طلبها عثمان من حفصة.

وقد كان رضي الله عنه لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، وقوله في الحديث: "ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره"، فلا يعني هذا أنها ليست متواترة، وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره، وكان زيد يحفظها، وكثير من الصحابة.

• أسباب الجمع.

1- كانت حرب اليمامة ونتائجها السبب المباشر في وضع تلك الفكرة.

2- استشهد عدد كبير من الصحابة، من حفظة القرآن، وقد بلغ عدهم أكثر من سبعون حافظاً.

3- خشية ان يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها.

4- مخافة ان تضيع بعض القطع التي كتب عليها القرآن.

فكانت تلك الأسباب ونتائجها هي السبب المباشر الذي دفع عمر بن الخطاب إلى الإشارة بجمع القرآن.

أسباب تردد الصديق رضي الله عنه في بداية الأمر نلاحظ من سياق الحديث السالف الذكر؛ الذي أخرجه الإمام البخاري عن زيد بن ثابت أن أبا بكر تردد في بداية الأمر في قبول الفكرة التي أشار بها عمر بن الخطاب والخاصة بجمع القرآن ، استشعر أبو بكر في البداية أن هذا الأمر بدعة ، وهو يؤثر الاتباع وينفر من الابتداع، فقال لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجع أبا بكر؛ حتى شرح الله صدر أبي بكر بما رآه عمر، فعزم على التنفيذ، ومن هنا يتبين شدة ورع أبي بكر وخوفه أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله، فالصديق كان يعتقد أن النبي لو أراد أن يجمع القرآن في صحف أو في مصحف

لفعل ذلك ، ولكنه ـصلى الله عليه وسلم ترك ذلك ليعتمد المسلمون على الحفظ في الصدور، ولا يعتمدوا على النسخ والقراءة كأهل الكتاب، ولذا أحب أبو بكر ألا يفعل شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم.

س: ما المصلحة التي جعلت عمر يقدم المشورة لسيدنا أبو بكر؟.

أما عمر فقد اجتهد في الوصول إلى المصلحة التي توجب جمع القرآن في مصحف واحد؛ وذلك مخافة أن يضيع شيء من القرآن بموت الحفظة والقراء، خاصة بعد المعارك التي شهدت حروب الردة ، فقد وجد سيدنا عمر أن من المصلحة جمع القرآن في مصحف واحد ؛ محافظة عليه من الضياع أو النسيان ، ووافقه على ذلك الصحابة.

وبعد محاورة بين أبي بكر وعمر، تجلى ألبي بكر وجه المصلحة من الجمع، فاقتنع بصواب الفكرة ، وشرح اهلل صدره وعلم أن الجمع وسيلة عظيمة لحفظ كتاب الله تعالى ، وأنه ليس من محدثات الأمور، ولا من البد الضالة ؛ بل هو مستمد من القواعد التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه في كتابة القرآن واتخاذه كتاب يكتبون الوحي بين يديه ، وبنفس الاقتناع اقتنع زيد بن ثابت في آخر الأمر بما اقتنع به أبو بكر ؛ حيث قال :" لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

منهج جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق

انتهج زيد في القرآن طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ وحذر دقيق وتحريات شاملة فلم يكتف بما حفظ في قلبه ولا بما كتب بيده ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبع ويستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين:

الأول : ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : ما كان محفوظا في صدور الرجال .

ويدل لهما قول زيد بن ثابت - في الحديث السابق - الذي أخرجه البخاري : "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف ، وصدور الرجال" .

فقوله "من العسب واللخاف" دليل على المكتوب ، وقوله "صدور الرجال" دليل على المحفوظ.

هل اعتمد زيد بن ثابت على حفظه في جمع القرآن؟.

الجواب: فلم يعتمد زيد على حفظه فقط أو كونه أحد كتاب الوحي ؛ بل استعان بكل من حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مدة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر:

استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قرابة خمسة عشر شهرا حيث بدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة أو أوائل الثانية عشرة وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة عشرة ، وتم ذلك جمعا وكتابة قبل وفاته رضي الله عنه ، ويدل على ذلك قول زيد بن ثابت . كما في الحديث السابق الذي أخرجه البخاري "فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله".

عدد النسخ المكتوبة:

كان عدد النسخ التي كتبت في عهد الصديق نسخة واحدة فقط، حفظت عند أبي بكر الصديق حتى وفاته، ثم عند عمر حتى موته، ثم عند حفصة حتى نسخت في عهد عثمان.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان, رضي الله عنه

كانت هذه المرحلة هي خاتمة مراحل جمع القرآن المعتمد عليه عند المسلمين، ولقد كانت مهمة عثمان تتمثل في نسخ مصحف أبي بكر إلى عدد من المصاحف؛ ليعتمد عليها المسلمون، ولتكون من الموازين التي يعلمون بها صحة ما يُنسب إلى القرآن من حيث أصول حروفه وكلماته وجُمَلِه، إذ قد يصح عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قراءاتٍ لكنها مما تُركت في العرضة الأخيرة، فلم يُقرأ بها، وترك الناس بلا مرجع يرجعون إليه يجعلهم لا يزالون مستمرين في قراءة ما تُركت تلاوته.

عن أنس رضي الله عنه: قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين؛ أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في

المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أنْ يحرق». قال زيد: آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}، فألحقناها في سورتها في المصحف.

ويمكن استخلاص عمل عثمان من هذا الخبر الذي رواه البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما كالآتي:

أولا: سبب الجمع، والذي دعا إليه.

فسبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان يمكن إرجاعه إلى ما يلي:

1- اتسعت الفتوحات الإسلامية.

2- تفرَّق القرَّاء في الأمصار، وأخذ أهل كل مِصر عمن وفد إليهم قراءته، فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجوه هذا الاختلاف.

3- ان حذيفة بن اليمان رأى اختلافًا كثيرًا في وجوه القراءة، وتكفير بعضهم الآخر، ففزع إلى عثمان (رضي الله عنه) فقال: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأراد سيدنا عثمان رضي الله عنه رفع الاختلاف والتنازع في القرآن الكريم، وقطع المراء فيه، وذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يمكن أن يقرأ بها القرآن الكريم.

4- حماية النص القرآني من أي إضافة أو نقص نتيجة وجود عدد من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت على ما ليس بقرآن كالشروح والتفاسير، أو لم يكتب فيها بعض السور لعدم حاجتهم لكتابتها مع علمهم بأنها من القرآن.

ثانيا: فكرة الجمع.

لما سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه - ما سمع، وأخبره حذيفة بما رآه ، جمع - رضي الله عنه - أعلام الصحابة واستشارهم في علاج هذه الفتنة وذلك الاختلاف، فأجمعوا أمرهم على ثلاثة أمور:

1. أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة.

2. أن ترسل نسخة إلى كل مصر من الأمصار فتكون مرجعا للناس منه يقرؤون ويُقرئون وإليه يحتكمون عند الاختلاف.

3. أن يحرق ماعدا هذه النسخ.

ثالثا: تكوين لجنة لهذا العمل العظيم:

كانت اللجنة تتكون من خيرة الصحابة الحفاظ والكتاب مؤلفة من أربعة أشخاص هم: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف».

يلاحظ أنَّ ثلاثة منهم مكيُّون، والرابع مدنيٌّ وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه، ويلاحظ أنه نصَّ على عملهم، وهو النسخ فحسب.

الدليل على ذلك:

1- روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق, فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة, فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود النصارى. مهم: فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت به حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف, وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القراء فاكتبوه بلسان قريش, فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

2- عن سويد بن غفلة قال: "قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فو الله ما فعل الذي فعل في المصحف إلا عن ملأ منا قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ قد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرًا، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يُجْمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنِعْمَ ما رأيت".

وهذا يدل على أن ما صنعه عثمان قد أجمع عليه الصحابة، ليجمع الناس على قراءة واحدة، فبعث إلى كل مصر من الأمصار بمصحف من المصاحف، واحتبس بالمدينة واحدًا هو مصحفه الذي يسمى الإمام، وتسميته بذلك لما جاء في بعض الروايات من قوله: "اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إمامًا" وأمر أنْ يُحرق ما عدا ذلك من صحيفة أو مصحف، وتلقت الأمة ذلك بالطاعة، وتركت القراءة بالأحرف الستة الأخرى، ولا ضير في ذلك. فإن القراءة بالأحرف السبعة ليست واجبة، ولو أوجب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الأمة القراءة بها جميعًا لوجب نقل كل حرف منها نقلًا متواترًا تقوم به الحجة، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، فدل هذا على أن القراءة بها من باب الرخصة، وأن الواجب هو تواتر النقل ببعض هذه الأحرف السبعة، وهذا هو ما كان.

رابعا: المنهج المتبع في الرسم حال الاختلاف:

أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة ـ رضي الله عنها يطلب منها الصحف

التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، فبعثت بالصحف إليه، وتسلمت اللجنة

هذه الصحف واعتبرتها المصدر الأساسي في هذا العمل، ثم أخذت في نسخها

حسب المنهج الذي حدده أمير المؤمنين عثمان لأعضاء اللجنة؛ حيث قال للقرشيين الثلاثة: " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم.

أرشدهم عثمان رضي الله عنه إلى ما يعملونه حال اختلافهم في رسم كلمة ما، بدلالة قوله: «فاكتبوه»؛ أي: فارسموه بطريقة نطق قريش التي نزل القرآن أول ما نزل بلغتها.

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

1- ان جمع أبي بكر كان بسب القتل الذي استحر بقراء القرآن، أما جمع عثمان كان بسبب كثرة الاختلاف في وجوه القراءة في الأمصار.

3- ان جمع أبي بكر كان جمعا لما كان مفرَّقًا في الرِّقاع والأكتاف والعسب، في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، مقتصرًا على ما لم تُنسخ تلاوته، مشتملًا

على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، أما جمع عثمان للقرآن كان نسخًا له على حرف واحد من الحروف السبعة، لجمع المسلمين على مصحف واحد. وحرف واحد يقرءون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى.